جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الانسانية .

قسم التاريخ .

الدراسات العليا : الدكتوراه في التاريخ الاسلامي .

مادة : السيرة النبوية .

عنوان المحاضرة : بيعة العقبة الأولى

استاذ المادة : أ. م.د . حسين اعبيد الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

بيعة العقبة الأولى .

قد يتبادر إلى الذهن أن بيعة العقبة حدث مر عابراً استغرق فعله ربما ساعات ، لكن الحقيقة ان بيعة العقبة سياسة راشدة متأنية انتهجها رسول الله ﷺ في تقرير مصير الدعوة الإسلامية ، استمرت لعامين على أقل تقدير ، وقد جعلت بعض الروايات بيعة الأنصار تلاحقت لمدة ثلاث سنين ، فبعضهم يجعلها بيعتين الأولى وتسمى بيعة النساء ، والثانية وتسمى بيعة القتال ، وبعضهم الآخر يقسمها على ثلاثة لقاءات بين وفود الأنصار ورسول الله ﷺ ، اللقاء الأول كان مجرد عرض للدعوة وقبول دون بيعة ، وفي اللقاء الثاني بيعة النساء ، وفي اللقاء الثالث بيعة القتال ، وأن المدة بين لقاء وآخر يستغرق سنة كاملة ، وذلك لأنهم لا يلتقون برسول الله ﷺ إلا في الموسم ، وجاءت تسمية العقبة لأن اللقاء يتم عند العقبة التي كان عندها منازل الأوس والخزرج في الموسم ، وأن تسمية البيعة الأولى ببيعة النساء مرده ما نزل من القرآن الكريم في شروط بيعة النساء ، فجاءت موافقة لشروط البيعة الأولى إذ قال الحق عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

تعدُّ بيعة العقبة القاعدة التي أرتكز عليها مشروع الهجرة ، إذ لم تكن الهجرة النبوية قراراً مفاجئً صدر كردة فعل لظرف طارئ ، وإنما كان أمراً مدروساً بعناية ومخطط له لمدة طويلة من الزمن ، فبعد أن حصل اللقاء الأول وتم الاتفاق بين رسول الله ﷺ ووفد الأوس والخزرج على قبول الدعوة ونصرتها ، سواء كان لقاء بيعة العقبة الأولى على رأي بعضهم أو كان اللقاء الأول قبل البيعة ، فقد بعث رسول الله ﷺ سفيره الأول في الإسلام بمهام عدة ، أولها يدعو إلى الله تعالى من كان في يثرب ، فمن أجابه يعلمه الشريعة والدين، ثم أنه سوف يسجل انطباعات المجتمع في يثرب وينقلها إلى رسول الله ﷺ وهذه الرحلة التي دامت قرابة السنة كانت كافية لرسم الصورة ونقل الموقف إلى رسول الله ﷺ وبفضل الله تعالى كانت النتائج ايجابية بشكل مقبول شجعت النبي

([1]) سورة الممتحنة ، الآية 12 ، وسورة الممتحنة مدنية وتسلسل نزولها الحادية والتسعين ، الملا حويش ، مختصر تفسير بيان المعاني ، ص525.

ﷺ أن يتخذ قرار الهجرة ، فيمكن تسمية مهمة مصعب بن عمير ﷺ، مهمة استطلاعية –إن صح التعبير - إلى جانب أنها مهمة دعوية تربوية .

تناول المحدثون والمؤرخون هذا الحدث التاريخي الهام بالذكر والتوثيق في روايات عديدة منها روايتي البخاري الأولى والثانية التي جاء فيها : ((أن رسول الله ﷺ قال : وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله ، ان شاء عفا عنه ، وان شاء عاقبه) فبايعناه على ذلك))[2] ، وأورد في روايته الثالثة قول عبادة بن الصامت[3] وهو من أصحاب العقبة والذي أكد ما جاء في الروايتين السابقتين من أركان البيعة ((إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ، وقال : بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل النفس التي حرم الله ، ولا ننتهب ، ولا نعصي ، بالجنة ان فعلنا ذلك ، فإن غشينا من ذلك شيئاً ، كان قضاء ذلك إلى الله)) [4] .

أما عروة بن الزبير ففي روايته الأولى ذكر خبر إسلام الأنصار الذي جاء فيه : لما حضر الموسم ، حج نفر من الأنصار منهم معاذ بن عفراء [5] ، وأسعد بن زرارة ، فأتاهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن الكريم ، فأيقنوا واطمأنوا إلى دعوته ، ووافق ما شاهدوا وسمعوا منه ما كانا يسمعون من أهل الكتاب من ذكرهم إياه بصفته وما يدعوهم إليه ، فصدقوا وآمنوا به ، ثم حدثوا رسل الله ﷺ بالذي يعلمه ما بين الأوس والخزرج من الدماء ، وطلبوا منه أن يرجعوا إلى قومهم فيخبروهم بأمر رسول الله ﷺ ، ويدعونهم إلى الله تعالى ورسوله ﷺ ، فلعل الله عز وجل أن يصلح بينهم ، وبينوا له أن الأمر على هذه الحالة له عواقب وخيمة ، إذ كانوا متباعدين متباغضين ، فإن قدم عليهم ولم يصطلحوا لم تكن لهم جماعة عليه ، و واعدوه الموسم

([2]) البخاري ، صحيح البخاري ، ص29 حديث رقم (18) ، ص688 حديث رقم (3892) .

([3]) عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي ، أبو الوليد ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وكان نقيباً على القواقل بني عوف بن الخزرج ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي ، وشهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، واستعمله النبي ﷺ على بعض الصدقات ، ثم رفض أن يتولى بعد ذلك ، كان أحد جماع القرآن الكريم الخمسة على زمن النبي ﷺ ، وكان يعلم أصحاب الصفة القرآن الكريم ، توفي عبادة سنة أربع وثلاثين بالرملة ، وقيل : بالبيت المقدس وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج2 ص526-527 .

([4]) البخاري ، صحيح البخاري ، ص688 حديث رقم (3893) .

([5]) معاذ بن الحارث بن رفاعة ويعرف بابن عفراء ، وهي أمه ، وهو أنصاري خزرجي ، شهد بدراً ، قيل : أنه بقي إلى زمن عثمان ، وقيل : جرح في بدر ثم مات في المدينة ، ويرى الواقدي أنه أحد النفر الثمانية الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار بمكة ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج4 ص295-297 .

من العام القابل ، فرضي رسول الله ﷺ الذي قالوا ، ورجعوا هم إلى قومهم فدعوهم سراً وأخبروهم بأمره ﷺ ، حتى قل دار من دورهم إلا أسلم فيها ناس لا محالة[6] .

وتحدثت روايته الثانية عن مرحلة ما بعد ذلك اللقاء الأول ، إذ بعد أن عاد حجاج يثرب إلى قومهم وأخذ من أسلم منهم يدعوا إلى الإسلام سراً فاتبعهم عدد من الناس ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يبعث لهم رجل من المسلمين ليدعوا الناس بكتاب الله تعالى ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير ، فنزل على أسعد بن زرارة ، فجعل يدعوا الناس سراً فيفشوا الإسلام ويكثر أهله وهم متخفون بدعائهم ، ولم تخل مهمة مصعب هذه من الصعوبات ، فقد علم سعد بن معاذ بهم لما كانوا متخفين فجاءهم في لامته[7] معه الرمح ، حتى وقف عليه فقال: علام تأتينا في دورنا بهذا الوحيد الفريد الطريد الغريب ، يسفه ضعفائنا بالباطل ، ومنعهم أن يعودوا إلى المكان الذي كانوا فيه ، ثم عادوا ثانية فأخبر بهم سعد بن معاذ فتوعدهم توعداً دون الوعيد الأول ، فاستغل أسعد بن زرارة لينه فكلمه قائلاً : يا ابن خالتي اسمع منه قوله ، فإن سمعت منكراً فرده ، وان سمعت حقاً فأجبه إليه ، فقال ماذا يقول ؟ فقرأ عليه مصعب بن عمير :

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[8]

فقال سعد ما أسمع إلا ما أعرف ، فرجع وقد هداه الله تعالى ولم يظهر لهم إسلامه حتى رجع إلى قومه ، فدعا بني عبد الاشهل إلى الإسلام وأظهر إسلامه ، فأسلمت بنو عبد الاشهل بإسلامه ، فكانت أول دور من دور الأنصار أسلمت بأسرها، بعد ذلك أخرج بنو النجار - قوم أسعد بن زرارة - مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد بن زرارة ، فانتقل مصعب إلى سعد بن معاذ ، ثم

([6]) عروة بن الزبير ، مغازي رسول الله ، ص121-123 .

([7]) اللأْمةُ : الدرع ، تقول استلأم الرجل ،أي : لبس لأْمتهُ ، واللأْمُ من كل شيءٍ : الشديد ، الفراهيدي ، كتاب العين ، ص862 مادة (لام) .

([8]) سورة الزخرف : الآيات 1-3 .

أسلم عمر بن الجموح[9] وعز أمر المسلمين وعاد مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ ، وكان يدعى المقرئ[10] .

وفي الشأن ذاته جاءت روايات ابن هشام موافقة لرواية عروة بن الزبير الأولى ، في ذكر لقاء رجال من الأنصار رسول الله ﷺ في الموسم لما كان يعرض نفسه على القبائل، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا ، وعادوا إلى قومهم دعاة ، فأسلم من أسلم من أهل المدينة بفضل دعوتهم[11]، وخالفت روايته الثانية رواية عروة بن الزبير الثانية في مسألة إرسال مصعب بن عمير ، إذ قال ابن هشام : ((إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة ، قال : وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب ... فلما أنصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمرهم أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة ، وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس)) [12] .

وأول روايات ابن سعد هي الأخرى وافقت رواية عروة بن الزبير الأولى ، ورواية ابن هشام الأولى ، في أمر إسلام رجال من الأوس والخزرج في اللقاء الأول الذي دعاهم فيه رسول إلى الإسلام فأسلموا [13]، أما روايته الثانية فجعل فيها بيعة العقبة الأولى في العام المقبل بعد لقائه الأول ، ثم بعد أن عادوا إلى قومهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم برجل من عنده فبعث مصعب بن عمير ، ليس كما ذكر ابن هشام أنهم اصطحبوه معهم بعد بيعة العقبة الأولى ، ذكر أنهم بايعوه على بيعة النساء ، وكان عددهم في اللقاء الأول ستة رجال وفي لقاء بيعة العقبة الأولى اثنا عشر رجلاً[14] .

([9]) عمر بن الجموح : هو والد معاذ بن عمر الذي أختلف مع معاذ بن عفراء على قتل أبي جهل فقضى رسول الله ﷺ بالسلب لمعاذ بن عمر بن الجموح ، قتل عمر بن الجموح يوم أحد ، كانت تحته هند بنت عمرو بن حرام عمة جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام ، قبر مع أخوها عبدالله بن عمرو في قبر واحد الذي قيل هو الآخر يم أحد ، ينظر : المحب الطبري (ت694هـ /1295م) ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ، بلا ناشر (مصر 1327هـ) ، ج1 ص319 ، مكتبة الإسلام الإلكترونية ترقيم الكتاب آلي غير موافق للمطبوع ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج7 ص232 .

([10]) عروة بن الزبير ، مغازي رسول الله ، ص123-124 .

([11]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص170-171 .

([12]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص171-172 .

([13]) ابن سعد ، الطبقات ، ج1 ص104-105 .

([14]) ابن سعد ، الطبقات ، ج1 ص105-106 .

أما الأزرقي فروى أن رسول الله ﷺ لبث بمكة عشر سنين يتتبع الحاج في منازلهم في الموسم وفي عكاظ ، يطلب من يؤويه وينصره ليبلغ رسالة ربه ، فلا يجد أحد يؤويه ولا ينصره ، حتى بعث الله عز وجل له رجال من يثرب فأمنوا به ودعوا أهلهم فأجابوا ، فلم تبقى دار من دور يثرب إلا وفيها مسلم[15] .

وذكر البلاذري في روايته الأولى أحداث اللقاء الأول الذي جمع رسول الله ﷺ ورجال من أهل يثرب وكان فيه إسلام بعضهم بقوله : ((وقدم قوم من الأوسي والخزرج مكة يطلبون حلف قريش على الخزرج لما كان بينهم من الحرب ، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فقال أنس بن رافع : وعجباً جئنا نطلب حلف قريش على أعدائنا أفنرجع وقريش عدونا ؟ ومال بعضهم إليه ... وكان القوم من الأنصار بعد القوم يدخلون مكة في أمور لهم ، فيدعوهم فيقول بعضهم لم نقدم لهذا ، ويسكت بعضهم فلا يقل شيئاً)) [16] ، ووافقت روايته الثانية رواية ابن سعد الثانية تماماً[17] .

وكانت رواية الفاكهي موافقة لرواية الأزرقي في المدة التي لبثها رسول الله ﷺ في مكة يدعو القبائل فما من مجيب حتى لقي وفد الأنصار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام [18]، أما اليعقوبي فقد قال ((قدم نفر منهم أيضا إلى مكة ، وهم بنو عفراء يتفاخرون مع أسعد بن زرارة ، فلقيهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال رجل منهم يقال له إياس بن معاذ : يا قوم هذا والله النبي الذي كانت اليهود تعدكم به ، فلا يسبقنكم إليه أحد ، فأسلموا ، وأخذ عليهم رسول الله الإيمان بالله وبرسوله ، ثم انصرفوا فأخبروا قومهم الخبر وقد كانوا سألوه أن يوجه معهم رجلاً من قبله يدعو الناس بكتاب الله ، فبعث إليهم رسول الله مصعب بن عمير ، فنزل على أسعد بن زرارة وجعل يدعوهم إلى الله عز وجل ويعلمهم الإسلام ، وكان أول من قدم المدينة ، ثم خرج اثنا عشر رجلاً منهم إليه فلقوه وهم أصحاب العقبة الأولى فآمنوا بالله وصدقوه ، وانصرفوا إلى المدينة وكثر خبره وفشا الإسلام فيها))[19] .

([15]) الازرقي ، أخبار مكة ، ج2 ص198-199 .
([16]) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ص274-275 .
([17]) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ص275-276 .
([18]) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج7 ص37 .
([19]) اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ص25 .